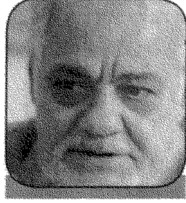


حلم شخصي في مكتبة الإسكندرية

◀ منير عامر



حين تم بناء وافتتاح مكتبة الاسكندرية ازدحم خيالي بأحلام لا حدود لها وكان وجود اسماعيل سراج الدين المثقف على المستوى الدولي بشارة طيبة خصوصا انه ارتكز على عقلي، كلاهما شاسع

القدرات اولهما د. محسن يوسف الذي عمل لسنوات كمساعد اساسي لإسماعيل سراج الدين فهو فارس علاقات عامة نادر، وثانيهما العقل الخلاب شاسع الخبرات جابر عصفور حفيد طه حسين فهو تلميذ سهير القلماوي فضلا عن خبرات منوعة من التدريس في جامعات القمة بأوروبا والولايات المتحدة ويتميز بالقدرة على الفرز والترتيب ورسم الطريقي لتحقيق الأهداف المرجوة، وكان اعتماد فاروق حسنى صاحب الخيال الرحب على جابر عصفور يفوق التصور فكلاهما ممتلئ بالثقة بالنفس. وسرعان ما أضاف خيال جابر عصفور المهمة الشاقة وهي البحث عن عمود فقرى لعالمنا العربي فكان المؤتمر الاول للمكتبة عن المسح الشامل والمهذب لعالمنا العربي المتخزن ببدائيات التفسخ بعد احتلال امريكا العراق. ومضت لجان وندوات تبحث عن رحلات النجاح والتعثر في عالمنا العربي دون جرح لأحد ودون تهليل بلا طائل. والتحق بالركب عقل عملاق في فهم متاعب عالمنا العربي بداية من المشكلة الفلسطينية ومرورا بكل تفاصيل التشردم العربي وأعنى به صديق العمر فيلسوف علم النفس السياسي د. قدرى حنفى . ومضت التجربة تسير قدما إلى ان انفجرت فينا قنبلة تضخم الذات عند احدهم فتناثرت خطوات المكتبة شظايا متباعدة وقد جرى ذلك فور ان نبه جابر عصفور إلى أهمية التواضع عند ادارة صرح عملاق كالمكتبة وما هي إلا شهرور حتى أقبل علينا زلزال ما سمي الربيع العربي بأسباب متعددة لعل أهمها هو تضخم ذوات من يتصدرون للعمل السياسي دون استفادة مما كثر تنبيه جابر عصفور له دون طائل. ولست اسجل تطولة بعد وقت طويل حين قلت في حضرة واحد من أئمة الحزب الوطني ان هذا الحزب هو كذبة ضخمة فهمس احدهم في أذني: قولك فيه رعونة فقلت في حجرة مكتب اسماعيل سراج الدين: انا معتز برعونتي تلك وانا ابن ثورة يوليو وصديق ثلاثة من اشرف رجال عهد ناصر والسادات هم بالترتيب شعراى جمعة ثم محمد زغلول كامل وجوهرة الامانة مع النفس وهو السيد منصور حسن الذى توجز أفكاره طريقا للخلاص من الترهل الذى نحياه لكن الرئيس مبارك لا يحب اعتزاز منصور حسن بقدراته السياسية. وتمضى ايام المكتبة مرتبكة إلى ايام وشهور وكان قلبي يئن توجعا على ترهل العمل فيها ووجدت قلمي يسبقني لترشيح د. مصطفى الفقى مديرا للمكتبة لعلها تستعيد رونقها بفاعلية ما أسست من أجله. وصدرت جريدة روز اليوسف بالترشيح الذى أكرمتنى السماء باستنباطه. ولم أكن أعلم أن عين القيادة السياسية قد رنت إلى ما حلمت به وكتبته فى جريدة روز اليوسف، فجاء قرار تعيين العقل الشاسع مصطفى الفقى مديرا للمكتبة. ولن أسرد كيف كان هناك حقل الغام سار فيه مصطفى الفقى دون ان تتناثر قدراته فمضى يعيد ويرتب الأمر دون ضجيج لعل المكتبة تستعيد قدراتها على خدمة العقل

المصرى والعربى والإفريقى بهدوء ورسانة.

وبحكم اقترابى الشديد من تفاصيل الحكم فى عهد الرئيس عبدالناصر فقد شاءت ظروفى ان أكون على علاقة حميمة مع عديد لا بأس به من دبلوماسيى

وزارة الخارجية ولن أنسى حين جاء قرار عبدالناصر بإعادة بناء الاتحاد الاشتراكي، وقام الدبلوماسييون الشباب بترشيح السفير جمال منصور كأمين لوحدة وزارة الخارجية لكن اهل الدبلوماسية قرروا ابعاد جمال منصور من المشهد. وبحث الرجل عن زريل صخرة الإبعاد وبالفخر المتواضع كان حركتى فى ذلك اليوم لمكتب شعراوى جمعة وزير الداخلية كواحد من الموكل إليهم إعادة بناء الاتحاد الاشتراكي فضلا عن عمق الثقة فى شخصى من السيد زغلول كامل أصغر الضباط الأحرار. وما ان وصل الأمر للرئيس عبدالناصر حتى الغي قرار نقل جمال منصور من وزارة الخارجية إلى وزارة السياحة. ولن أنسى صوت جمال منصور المبتهج وهو يشكرنى قائلا: من اطلق اسم الضباط الأحرار هو جمال منصور. ومن مسؤوليتى تجاه التنظيم الذى شاركت فى تأسيسه أن انضم للملمة جراح الوطن.

وكان مصطفى الفقى فى ذلك الوقت هو الملحق الشاب بإدارة المراسم التى يقودها جمال منصور وكان هو الدبلوماسي الوحيد من ابناء جيله الذى صدر له قرار جمهورى بتعيينه بالخارجية. ولم تمض أيامه سهلة فقد امتلك بصيرة تريد معرفة جذور ما حدث مصر عبر موقعها فى العصر الحديث وجاء تعيينه بسفارتنا بلندن ليقيم على دراسة الماجستير والدكتوراه بأرقى جامعاتها. ولم تلمسه شظايا حركة السادات فى الخامس عشر من مايو ١٩٧١ ومضى بولاء شغوف فى تتبع الحركة الوطنية المصرية من ثورة ١٩١٩ وحتى يوليو، وكان من أبرز سماتها هو هزيمة ما أرادت انجلترا ان توصله فى مصر وهو تفتيت الوحدة الوطنية. وواصل مصطفى الفقى الارتواء من فيض بطرس بطرس غالى العلامة والفيلسوف، ودرس حكمة وفلسفة الشرق عبر العمل الدبلوماسي بالهند. وتعتقد اواصر صداقة اساسها معنى الإخلاص والإتقان فيما يوكل لهما من أعمال وأعنى بذلك الصداقة والأخوة التى ربطت د. أسامة الباز بالدكتور مصطفى الفقى. وينتقل مصطفى الفقى للعمل بمكتب الرئيس الأسبق حسنى مبارك ليمشى على أشواك تنثرها المؤامرات، ثم ينتقل لفينا سفيرا فيؤسس مبنى يليق كسفارة لمصر ثم يعود للقاهرة مديرا للمعهد الدبلوماسي فلا يرضن بخبرة تضيف للأجيال الشابة. ويمضى مبشرا ومعلما إلى ان تقتحمنا ترهلات ما بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير وليمر الهواء ثقيلًا تحت أنوفنا لتأتى الثلاثون من يونيو لتصحيح مسار التغيير. وحين يتم اختياره كمدير لمكتبة الإسكندرية يؤرق قلبي بحلم هو جدير بتحقيقه الا وهو تحديد مسار ما يجب ان نؤصله فى علمنا السياسي. وان نضع أمامنا ما قطعناه فى العصر الحديث من مشاوير فى طريق التنمية والسلبليات التى علقت بأقدامنا. ترى هل نستطيع؟ أحلم بـ «نعم» عالية الوجود على أرض المحروسة.